مركز البيان للبحوث والدراسات
Al-Bayan Center for Research and Studies
٢٠٥

المشروع الليبرالي
العجز والإفلاس

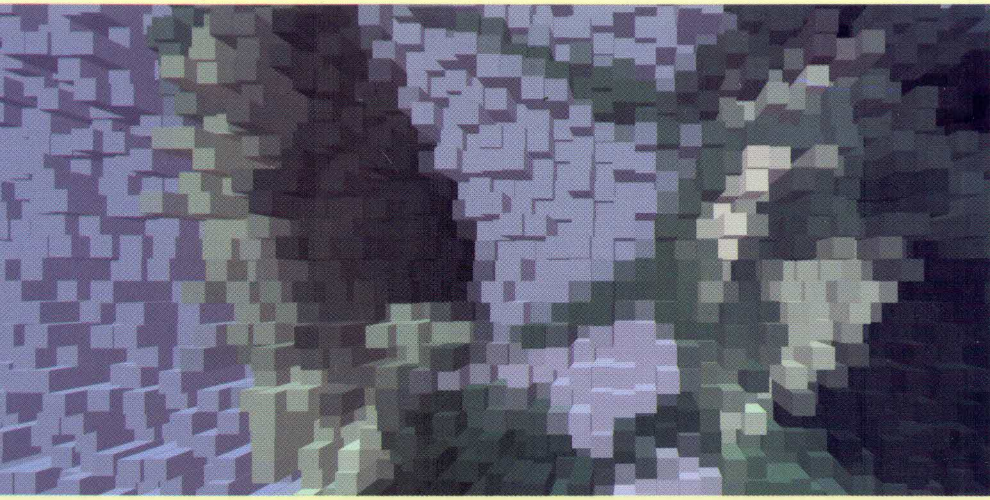

أحمد بن عبد الرحمن الصويان

www.albayan.co.uk

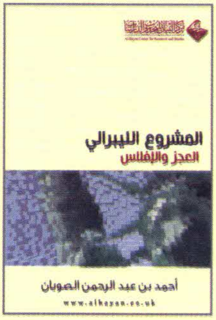

المشروع الليبرالي.. العجز والإفلاس

إنَّ مواجهة الفكر الليبرالي وكشف زيوفه، من أعظم واجبات العصر؛ فليس أضرّ على الأمة من أن تجرح في دينها، وتنتقص في عقيدتها، ويعتدى على هويتها، وإن من الغفلة التي لا تستساغ الغفلة عن مكر هؤلاء وأحابيلهم؛ فجهادهم بالحجة والبرهان من أعظم الجهاد المأمور به، قال رسول الله ﷺ: (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم).

وما يُذكر في هذه الإلمامة المختصرة لا يمثل بالضرورة جميع الليبراليين، فهم مدارس وتوجهات متعددة، لكن نحسب أنَّه يمثل طيفاً واسعاً، وتياراً يتمدد بغلوه وجموحه في عالمنا الإسلامي يوماً بعد يوم.

ونرجو أن تكون هذه الرسالة نصرة لدينه، وتثبيتاً لشباب الأمة، وعوناً على تعرية أحابيل المفسدين.

مركز البيان للبحوث والدراسات
Al-Bayan Center for Research and Studies

مكتب مجلة البيان
ص.ب ٢٦٩٧٠ - الرياض - ١١٤٩٦
www.albayan.co.uk
sales@albayan.co.uk
هاتف : ٠٠٩٦٦١١٤٥٤٦٨٦٨

9 786038 101698

المشروع الليبرالي .. العجز والإفلاس

تأليف

أحمد بن عبد الرحمن الصويان

ح مجلة البيان، ١٤٣٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصويان، احمد عبدالرحمن

المشروع الليبرالي العجز والافلاس. / احمد عبدالرحمن الصويان،-
الرياض، ١٤٣٦هـ

٨٠ ص؛ ١٤×٢١ سم

ردمك: ٨- ٦٩- ٨١٠١- ٦٠٣- ٩٧٨

١- الليبرالية أ. العنوان

ديوي ٣٢٠,٥١ ١٤٣٦/٣٩٧١

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٣٩٧١

ردمك: ٨- ٦٩- ٨١٠١- ٦٠٣- ٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:

فإن أصل هذه الرسالة ورقة مختصرة أعددت مسودتها الأولى في افتتاح مؤتمر نظمته - بحمد الله وشكره - مجلة البيان في العاصمة الماليزية كوالالمبور بعنوان: «المشروع الليبرالي.. آلياته وأبعاده». وقد حرصت على نشرها مختصرة - بعيدة عن التعريفات الأكاديمية والاستطرادات الفلسفية - لتكون قريبة من تناول الشباب، خاصة في هذا العصر الذي كثر فيه التلبيس والتدليس، واغتر فيه كثير منهم بأطروحات بعض المثقفين الذين تاهت أقلامهم في أحراش الفكر الغربي؛ فراحوا يزينونه بألوان من الزينة مصطنعة باهتة، ليحجبوا بزخرفهم ضوء الشمس، وليشتروا به ثمنًا قليلًا، ويضلوا به عن سبيل الله عز وجل.

إن مواجهة الفكر الليبرالي وكشف زيوفه من أعظم واجبات العصر؛ فليس أضرَّ على الأمة من أن تجرح في دينها، وتنتقص في عقيدتها، ويعتدى على هويتها، وإن من الغفلة التي لا تستساغ الغفلة عن مكر هؤلاء وأحابيلهم؛ فجهادهم بالحجة والبرهان من أعظم الجهاد المأمور به، قال رسول الله ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[1].

وما أذكره في هذه الإلمامة المختصرة لا يمثل بالضرورة جميع الليبراليين، فهم مدارس وتوجهات متعددة، لكن أحسب أنَّه يمثل طيفًا واسعًا، وتيارًا يتمدد بغلوه وجموحه في عالمنا الإسلامي يومًا بعد يوم.

وأرجو أن تكون هذه الرسالة نصرة لدينه، وتثبيتًا لشباب الأمة، وعونًا على تعرية أحابيل المفسدين.

أسأل الله عز وجل أن يعيذنا من ضلالات الأهواء والفتن.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

أحمد بن عبد الرحمن الصويان

alsowayan@gmail.com

---

(١) أخرجه: أبو داود، رقم (٢٥٠٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

المدخل

المدخل

سؤال النهضة من أكثر الأسئلة الفكرية حضورًا في ساحتنا العربية والإسلامية، ويتكرر كثيرًا في قوالب وسياقات متعددة، كما تتعدد الإجابات عليه بتعدد الرؤى والمنطلقات الفكرية.

ويخطئ من يظن أن التيارات الليبرالية في عالمنا الإسلامي بمختلف اتجاهاتها الفكرية، وولاءاتها الداخلية والخارجية؛ تحمل مشروعًا للإصلاح والنهضة خاصًا بها.

والعجيب أن الليبراليين حينما يتهمون الإسلاميين بغياب المشروع، وبالتقليد والماضوية.. ونحوها من الاتهامات المستهلَكة؛ يوهمون أنفسهم وأتباعهم وقراءهم بأنهم مجددون إبداعيون، يتميزون بالتحرر الفكري والانطلاق الثقافي والتجديد المعرفي، هكذا زعموا مع أن الواقع يحكي شيئًا آخر.

تأمل مشروعهم السياسي: فسوف تجد أنه لا يتجاوز التقلب بين مدارس الشرق والغرب اليسارية والعلمانية، والدعوة النظرية المكيافيلية إلى الديمقراطية الغربية في كثير من الأحيان، ومأزق كثير

منهم المتكرر أنهم لا يجدون حلًّا للإصلاح السياسي في العالم العربي إلا بإعادة إنتاج الدكتاتوريات القمعية بأقنعة جديدة، والانكفاء تحت عباءتها، مع الاندفاع المهين تحت أعتاب أسيادهم البيض، والاستقواء بهم.

وإذا كان الولاء للاستعمار سبّة سياسية في وقت مضى من الأوقات؛ فهو الآن عند كثير من هؤلاء المبدعين مطلب من مطالب النهضة والتغيير، وزينة يتدثرون بها لا تثير الخزي والخجل، بل تدعو إلى التفاخر والتعالي.

وتأمل كذلك مشروعاتهم وبرامجهم الاقتصادية: ستجد أن النظام الرأسمالي الغربي بكل طغيانه ونفعيته هو خيارهم الوحيد، ويزعمون أنه لا يمكن أن يقوم نظام اقتصادي ناجح إلا بالربا، ولا يمكن الاندماج الاقتصادي في المنظومة التجارية الدولية إلا باستخدام الفلسفة الرأسمالية بكل تناقضاتها وتوحشها وانتهازيتها!

أما مشروعهم الفكري الذي يتشدقون به في كل محفل من محافلهم فهو يعني: التيه في مدارس الفكر الغربي، واجترار المناهج والفلسفات المادية المحادة للدين، مع قطيعة معرفية شاملة مع تراث الأمة وعقيدتها، ويتبع ذلك الدعوة إلى تفكيك مصادر التلقي عند

الأمة، والجرأة على نقد المقدسات والمسلَّمات الشرعية، والاحتفاء بالفجور والزندقة والتمرد الفكري.

وأما مشروعهم الاجتماعي الذي يُبشرون به فغايته الكبرى عندهم: الانعتاق التام من قيود الشريعة، واستيراد النظم والقوانين الغربية الداروينية كافة، وتسويق قيم ومتطلبات ما يسمى بالثقافة الأممية المشتركة التي ترعاها الأمم المتحدة، وفرضها على الناس قسرًا؛ ليجروهم إلى مستنقعات آسنة تملؤها الرذيلة، ويعمرها الزنا والشذوذ الجنسي والتحلل القيمي والأخلاقي!

وحتى في مجال الأدب والنقد نرى مشروعهم يختزل في الدوران في فلك مدارس الحداثة الغربية، وما بعد الحداثة، وتختلف إمكانياتهم في مدى قدرتهم على الفهم والاستنساخ فحسب، فصبغوا الأدب بلون فكري ملوَّث مذبذب لا يُخفي سقوطه، بل غيبوبته في مستنقع القلق الغربي.

إن مشروع التغيير الليبرالي - ولا أقول النهضة - بكل أبعاده الثقافية، ورهاناته السياسية البائسة؛ مشروع لقيط ليس له في أمتنا أصل ولا نسب، ولا يهدف إلى بناء مشروع نهضة حضاري مستقل، تسمو به الأمة نحو مصاف الدول المتقدمة صناعيًا وتقنيًا. ومع أن الأنظمة والأحزاب والمؤسسات الليبرالية تصدِّر نفسها في

عالمنا العربي باعتبارها منقذة للعرب من أزماتهم، إلا أنها لم تقدم حلولًا للفجوة الصناعية والتقنية، ولا عالجت مشكلات الفقر والبطالة، وتردي أوضاع التعليم والصحة، ولا استطاعت أن تستثمر مقدراتها البشرية وثرواتها الطبيعية؛ فجميع أفكار النهضة الليبرالية لا تتجاوز ميدان التبشير والتمدح بالغرب ثقافة وفكرًا وممارسة! ومازالت أسئلة النهضة حائرة لا تجد جوابًا، وإنما تدور في حلقة مفرغة لا جديد فيها، جرَّت العالم العربي إلى صفوف التخلف الصناعي، والتردي التعليمي والحضاري.

الفصل الأول:
منطلقات المشروع الليبرالي العربي

الفصل الأول

منطلقات المشروع الليبرالي العربي

يعيش المثقف الليبرالي في عالمنا الإسلامي تحت وهم التحضر والتفوق وامتلاك الحقيقة، ويمارس دور الاستعلاء والأستاذية، فتحالفه مع الأنظمة المستبدة ملأ قلبه وعقله بغطرسة القوة؛ فراح ينظر إلى المجتمع من حوله بعدسة مظلمة يعشى فيها نظره عن الحقيقة، ويتعامل مع خصومه - بل مع عامة الناس - بمنطق الوصاية والاستبداد الكنسي الذي ثارت عليه أوربا![1].

هذه العقدة شكلت وعي الليبرالي العربي، وظنَّ أنه يقدم مشروعًا للنهضة، لكن المشروع الليبرالي في حقيقته إنما هو - في الغالب - مشروع تبعية وتسويق للمعلبات الغربية التي أفسدتها المواد الحافظة، وهو يعتمد على خمسة منطلقات:

---

(١) يقول علي حرب واصفًا استعلاء المثقف العلماني إنه «يصدر في تعامله مع ذاته ومع غيره عن إحساس بمركزيته ونرجسيته، بنخبويته وتفوقه، ولهذا فهو يمارس الاستبداد والهيمنة»، «الممنوع والممتنع» (ص٢٦٣).

المنطلق الأول: الغارة المتشنجة على الدين الإسلامي وأصوله ومصادره، والتنكر لتاريخه وحضارته:

حيث سلَّط بعض الليبراليين والحداثيين - وعلى رأسهم محمد أركون ونصر حامد أبو زيد والقمني والعفيف الأخضر وغيرهم - على القرآن العظيم وسنة سيد المرسلين ﷺ شواظًا من العبث والتطاول، باسم الدراسات وحريات البحث العلمي، واستبطنوا العداء، ودأبوا على إثارة الشك، واجترار أحابيل المستشرقين وشبهاتهم دون موضوعية أو إنصاف، وتحليل النصوص الشرعية من خلال العين الغربية المعادية للدين، التي أسقطت هيبة كل مقدس، وحرمة كل دين؛ رسالتهم في ذلك رسالة أسلافهم الذين وصف الله - عز وجل - منهجهم في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، يحدوهم في ذلك قول كبير من كبرائهم ممَّن علمهم العلمنة والتمرد على الدين شبلي شميل إذ يقول: «لا يصلح حال الأمة إلا كلما ضعفت فيها شوكة الديانة، ولا يقوى شأن الديانة إلا كلما انحط شأن الأمة»(١).

وإذا كان بعض المستشرقين «قد جعلوا من أنفسهم فريسة

(١) شبلي شميل، «فلسفة النشوء والارتقاء» (ص٥١).

التحزب غير العلمي في كتاباتهم عن الإسلام»، كما وصفهم الكاتب النمساوي المسلم محمد أسد[1]، فإن السماعين لهم ومقلديهم من بعض هؤلاء الليبراليين أضافوا إلى غياب تلك الموضوعية جهلًا ذريعًا بتراث الإسلام وأصوله العلمية، وحقدًا متجذرًا على دين الأمة وعلمائها وتاريخها الحضاري[2]، حتى إنَّ الدكتور مصطفى السباعي شهد أنَّ محمود أبو رية[3] كان أفحش وأسوأ أدبًا من كلِّ من تكلَّم في حق أبي هريرة - رضي الله عنه - من المعتزلة والرافضة والمستشرقين قديمًا وحديثًا[4]. وصدق - رحمه الله - فيما ذهب إليه؛ فكثير من هؤلاء المتطاولين بلغوا من سوء الأدب والفجور الفكري ما تجاوزوا فيه أسيادهم المستشرقين. وأنا أشهد أنَّ ما رأيته من بعض كتابات أركون ونصر أبو زيد والعفيف الأخضر أشدُّ فحشًا وأكثر تطاولًا وفجورًا مما رأيته من كتابات المستشرق الألماني

(١) محمد أسد، «الإسلام على مفترق الطرق» (ص٥٠).
(٢) من المؤلفات التي عالجت هذه المسألة: «موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين» د. صالح الدميجي، «موقف الفكر الحداثي العربي من أصول الاستدلال في الإسلام» د. محمد بن حجر القرني.
(٣) ألف أبو رية كتابًا سماه: «أضواء على السنة المحمدية» ملأه بأغاليط وشبهات وجهالات عن الحديث النبوي الشريف، فرد عليه جمع من العلماء منهم العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي في كتاب سماه: «الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة».
(٤) انظر: د. مصطفى السباعي، «السنة ومكانتها في التشريع» (ص٣٢٠).

«هوروفيتش» والمستشرق المجري «بيرانت هيللر»، وغيرهما من المستشرقين المعنيين بالدراسات القرآنية، وأشد فحشًا مما رأيته من كتاب «جولد تسيهر» و«جوزيف شاخت» وغيرهما من المستشرقين المعنيين بالدراسات الحديثية!

وسأكتفي هاهنا بذكر مثال واحد، متجنبًا الاستشهاد بالمستفزين العابثين الذين يصدمون القارئ بفجورهم الهجومي الفج، وسأذكر مثالًا عمَّن يزعم أنه يتدثر بالموضوعية والبحث العلمي مستخدمًا أدواته التراثية، أعني الدكتور محمد عابد الجابري؛ فإذا كان محمد خلف الله وأركون وعزيز العظمة يزعمون أن القصص القرآني أساطير لا حقيقة لها؛ فإن الجابري يزعم أن سياق القصص في القرآن الكريم لم يقصد به التدوين التاريخي، وإنما هي أمثال مضروبة يراد منها العظة والعبرة، ويزعم أنه «كما يضرب القرآن المثل برجلين أو بجنتين من غير تحديد، وكما يُجرِي حوارًا بين أهل الجنة وأصحاب النار والقيامةُ لم تقم بعد، فكذلك الشأن في قصص الأنبياء التي يذكرها؛ إنها للذكر (أي: للموعظة والعبرة). وهكذا فكما أننا لا نسأل عن صحة القصة التي وراء الأمثال التي تُضرَب لموقفٍ أو حالٍ؛ لأن المقصود بالمثل ليس أشخاصه بل مغزاه، فكذلك القصص القرآني في نظرنا. والصدق في هذا المجال

- سواء تعلق الأمر بالمثل أو بالقصة - لا يُلتَمس في مطابقة أو عدم مطابقة شخصيات القصة والمثل للواقع التاريخي، بل الصدق فيه مرجعه مخيال المستمع ومعهوده»[1].

وإذا كان المستشرقون يطعنون صراحة في جَمْع القرآن العظيم، فإن الجابري يثني على الجهد الكبير الذي بُذِل في جمعه، ولكنه يتجاسر فيرى أنه «ليس ثمت أدلةٌ (قاطعة)[2]» على حدوث زيادةٍ أو نقصانٍ في القرآن كما هو في المصحف بين أيدي الناس منذ جَمعِه زمن عثمان. أما قبل ذلك فالقرآن كان مفرَّقًا في صُحُفٍ وفي صدور الصحابة، ومن المؤكد أن ما كان يتوفر عليه هذا الصحابي أو ذلك من القرآن (مكتوبًا أو محفوظًا) كان يختلف عمَّا كان عند غيره، كمًّا وترتيبًا». ثم زعم أنه «من الجائز أن تحدث أخطاء حين جَمْعِه زمن عثمان أو قبل ذلك» بحجة أن «الذين تولوا مهمة جمعه لم يكونوا معصومين»![3].

فإذا كان هذا التلبيس والالتواء كلام شخصية تزعم تبني

---

(١) د. محمد عابد الجابري، «مدخل إلى القرآن الكريم»، الجزء الأول في التعريف بالقرآن (ص٢٣٨).

(٢) يعني: أنه قد توجد أدلة محتمَلة على الزيادة والنقصان؛ وهذا أسلوب خطير لإثارة الشكوك وترويج الشبهات.

(٣) د. محمد عابد الجابري، «مدخل إلى القرآن الكريم»، الجزء الأول في التعريف بالقرآن (ص٢١٠).

المنهجية العلمية في البحث، فكيف بغيره من رؤوس الضلال الذين سلوا أقلامهم الموتورة تخبط في الكتاب والسنة خبط عشواء؟!

إنَّ إثارة الشبهات وهدم المقدسات هما المدخل الذي يتسلل منه الفكر الليبرالي لهدم الدين، وإسقاط مكانته في النفوس! ليس ذلك فحسب، بل إنَّ كثيرًا من الليبراليين يدعون إلى قطيعة تامة مع تاريخ الأمة وفكرها؛ فالهوية الليبرالية كما يدعو الدكتور شاكر النابلسي تهدف إلى: «تحرير النفس العربية من ماضيها، ومن حكم الأسلاف الذين مازالوا يحكموننا من قبورهم»[1].

وهل لأمتنا ماضٍ غير الإسلام؟!

وهل لنا من أسلاف غير الصحابة الكرام - رضي الله عنهم - وأتباعهم من القرون المفضلة الأولى إلى يومنا هذا؟!

وكان من أبرز ثمرات ذلك التمرد والشك والإعراض عن الدين: الدعوة الليبرالية المحمومة لاستنساخ الصراع الديني الذي عصف بأوربا، ثم أدى لفصل الدين عن الحياة، أو ما يسمى بالعَلْمانية. حيث شكلت العلمانية منظومة التفكير التي تعزل الدين عن السياسة والاقتصاد والفن والأدب والأخلاق والعلاقات

---

(١) شاكر النابلسي، «الليبراليون الجدد» (ص٢٤).

الاجتماعية ونحوها من ميادين الواقع المجتمعي[1]، ففي الرؤية العلمانية: «يفترض أن تكون المعايير التي يخضع لها الإنسان في تعامله مع الإنسان، وفي تنظيمه لشؤون حياته السياسية والاقتصادية والقانونية، هي معايير مستمدة من الدنيا لا من الدين»[2].

وهذا أحد أسباب تشنج الليبراليين العرب ورفضهم الدعوة إلى تطبيق الشريعة في عالمنا الإسلامي. وأحسب أن لأمثال هؤلاء نصيبًا وافرًا من قول الله - عز وجل -: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٧].

---

(١) من أهم ما كتب عن العلمانية عرضًا ونقدًا: «العلمانية نشأتها وتطورها في الحياة الإسلامية المعاصرة»، د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي.

(٢) نبيل عبدالفتاح، «اليوتوبيا والجحيم.. قضايا الحداثة والعولمة في مصر»، (ص٧٩).

المنطلق الثاني: استنساخ ومحاكاة المشروع الغربي بكل تناقضاته وتقلباته الفكرية، حذو القذة بالقذة:

لقد استورد الليبراليون العرب تاريخ أوربا وصراعاتها الدينية والقيمية، واتجاهاتها الفكرية والسلوكية، وراحوا يجترون تلك الصراعات ويستنسخونها في رؤيتهم للدين الإسلامي ومبادئه وقيمه وتاريخه، وأصبحت الأفكار والقيم المؤسسة للصراع والتمرد في أوربا تستنسخ وكأنها قيم مطلقة لا تقبل الشك، وتصبح هي الأفكار التي يتخندق وراءها كثير من الليبراليين، وتُشكل ذهنيتهم الجمعية دون اعتبار لخصوصية الدين والزمان والمكان![1].

وهذا يعني ببساطة شديدة: أن هذا المشروع الليبرالي منبت، منقطع الصلة بالأمة، لا علاقة له بفكرها وثقافتها وتاريخها، وها هو ذا المفكر الليبرالي عبد الإله بلقزيز يتحدث عن: «شعور طاغ يغمر من يبحث في إجابات عن أسئلة الثقافة والاجتماع أن المثقفين العرب لا يفعلون إزاء هذه الأسئلة في أفضل الأحوال سوى إعادة إنتاج المقولات الغربية بعد تعريبها كُلًّا أو جزءًا، بما معناه أنهم

(١) الطريف أن مطاع صفدي وهو أحد مفكري الحداثة يتحدث عن المفكرين العرب قائلًا: «نحن كنا لا نعرف حقًا ما هو المشروع الثقافي الغربي، لا نقرأه، وإذا قرأنا بعضه لا نفهمه كله!»، «نقد العقل الغربي» (ص١٢).

يجهرون بالعجز عن ممارسة أي نوع من أنواع المبادرة والإبداع خارج سياق التكرار، والترداد، أو تسوّل الأجوبة واستعارتها دون تمحيص»[1].

وقد كشف الدكتور عبدالعزيز حمودة في كتابيه «المرايا المحدبة» و«المرايا المقعرة» هذا السقوط والتبعية، ومما قاله: «الحداثي العربي يفتقر إلى فلسفة خاصة به؛ فهو يستعير المفاهيم النهائية لدى الآخرين، ويقتبس من المدارس الفكرية، ويحاول في جهد توفيقي بالدرجة الأولى تقديم نسخة عربية خاصة به لكنها كلها عملية اقتباس ونقل وترقيع وتوفيق، لا ترتبط بواقع ثقافي أصيل، ومن هنا تجيئ الصورة النهائية مليئة بالثقوب والمتناقضات»[2]. ونحو هذا اعتراف علي حرب بأنه لا يوجد عربي واحد أنتج فكرًا ذا أهمية حول المجتمع العربي والبشري، وقال: «إننا لا نجد مثقفًا عربيًّا واحدًا نجح في الكلام بصورة جديدة غنية أو فريدة على المقولات التي يتداولها المثقفون في خطاباتهم منذ عقود، كالديمقراطية

---

(١) عبد الإله بلقزيز، «نهاية الداعية» (ص٥٨)، نقلًا عن د. عبدالرحمن الزنيدي: «المثقف العربي بين العصرانية والإسلامية» (ص٨٤)، وقد نقل نقولات أخرى نحوها، فلتراجع.

(٢) د. عبدالعزيز حمودة، «المرايا المحدبة»، بتصرف، (ص٦٢-٦٣)، وانظر «استقبال الآخر»: د. سعد البازعي.

والحداثة والعقلانية والعلمانية والتقدم والاشتراكية»[1]، ويقول في موضع آخر: «إن العاملين عندنا في حقول الفكر على أهمية ما فكروا فيه وألفوه، منذ محمد عبده حتى محمد عابد الجابري، لم ينجحوا في افتتاح حقول للمعرفة أو في ابتكار أدوات مفهومية خارقة للحواجز اللغوية أو القومية أو الجعرافية»[2].

ويشير الدكتور لؤي صافي إلى هذا التقلب في أوحال الغرب قائلًا: «تنبع أزمة المثقف العربي من أنه أسير ثقافة أنتجها المثقف الغربي، فمثقفنا يعيش خارج الزمن الثقافي العربي؛ لذا تراه ينافح تارة عن الرؤية الحداثية ويتبنى رؤيتها وطروحاتها وحلولها، وتارة يدعو إلى ثورة ماركسية تطيح بالطبقة الرأسمالية، وتستبدلها بطبقة كادحة، وتراه حين تتعرض الرؤيتان لنقد حاد من المثقف الحداثي الغربي، يتبنى الطرح الجديد. ويدعو إلى تبني نتائجه الفكرية والاجتماعية غير آبه بالتباين البيِّن بين التجربتين العربية والغربية»[3].

إذن بشهادة هؤلاء الليبراليين أنفسهم نجد أن صورة المثقف الليبرالي هي في الحقيقة شخصية منهزمة متقلبة مجترة لفكر الغرب،

(١) علي حرب، «أوهام النخبة» (ص١٠١-١٠٣).
(٢) علي حرب، «أوهام النخبة» (ص١٥٥).
(٣) لؤي صافي، «جذور أزمة المثقف في الوطن العربي» (ص٩٢).

غير قادرة على الإبـداع الحقيقي. ويمكن التعبير الإجمالي عن مشروعهم التغريبي باختصار شديد بعبارة المفكر الفرنسي سيرج لاتوش: مشروع «اقتلاع ثقافي»[1]، فهو ينتزع ثقافتنا، ويستورد بدلًا عنها ثقافة أخرى!

(١) سيرج لاتوش، «تغريب العالم» (ص١١٨).

المنطلق الثالث: الانتقائية في استنساخ المشروع الغربي:

لئن كان من طلائعهم الفكرية من دعا منذ عقود إلى أن «نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادًا ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب»[1]؛ ونحوه قول من قال: «الجواب الواحد الواضح لإنهاء التخلف والتحضر هو أن نندمج في الغرب اندماجًا في تفكيرنا وآدابنا وفنوننا وعاداتنا ووجهة نظرنا إلى الدنيا، وأن تكون مصر قطعة من أوربا»[2]، ومنهم من رأى أنه: «لا خلاص لنا إلا بتبني الحضارة الغربية بحذافيرها»[3]، حتى قال شاعرهم:

---

(١) طه حسين، في كتابه الشهير: «مستقبل الثقافة في مصر» (ص٤١)، واقتبس منه هذا المعنى شاكر النابلسي الذي دعا إلى أخذ الحداثة: «بسلبياتها وإيجابياتها، بحلاوتها ومرارتها، بعسلها وعلقمها»؛ «سجون بلا قضبان» (ص٤٠).

(٢) قاله الدكتور زكي نجيب محمود، «شروق من الغرب» (ص٢٥).

(٣) قاله توفيق الحكيم، كما نقله عنه الدكتور عبدالوهاب المسيري، وعندما قال له المسيري: «هل يجب أن نأخذ المخدرات مع الكمبيوتر، وفلسفات العبث والعدمية مع وسائل الانتقال السريعة؟» كان رد توفيق الحكيم: «لا يمكن تبني جزء من النموذج الغربي وحسب، وإنما يجب تبنيه كله!»؛ «رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر»، (ص٤٥١-٤٥٢)، وللمسيري رؤية نقدية رصينة لهذا التوجه في كتابه «العالم من منظور غربي».

شعاع الغرب أين وطأت سهلًا
وأيـن نـزلـت في لـبـنـان أهـلا
شعـاع الـغـرب أي شـعـاع خير
لـه في كـل جـارحـة مـصلًى
مـددت يـدًا نصافحها وفـاءً
فأنت أحـق من يـوفى وأوْلى![1]

فـإنَّ الحقيقـة التـي لا شـك فيهـا أن كثـيرًا مـن هـؤلاء إنـما اتبعـوا طريقـة أوربـا في شرهـا وشرهـا، ومرهـا ومرهـا، وتعاملوا مـع استنسـاخ ثقافـة الغـرب بطريقـة انتقائيـة تسـتورد الشـهوات والشـبهات، وتعـرض عـن جوانـب القوة والإبـداع، سـواء أكان ذلـك في المشروع السـياسي أم الاجتماعي أم غيرهمـا[2]، وأكتفي في هـذه العجالـة المختـصرة بذكـر مثالـين فقط:

(١) يوسف الخال، «الأعمال الشعرية الكاملة» (ص٨٦-٨٨).
(٢) يشرح الدكتور عبد الوهاب المسيري هذه الرؤية قائلًا: «الغزو الثقافي ليس غزو الثقافة الغربية لنا، فهم لا يُصدّرون لنا شكسبير وموزارت وبوشكين، وإنما غزو الحضارة الاستهلاكية العالمية لكل الحضارات، وتقويضها لظاهرة الإنسان»؛ «رحلتي الفكرية» (ص٤٢٧).

المثال الأول: الإعراض عن قضايا التنمية:

فمن النادر أن تجد مثقفًا ليبراليًا مهمومًا بمظاهر التخلف التعليمي الذي يلفّ عالمنا الإسلامي، أو تجده مشغولًا بقضايا التنمية والصناعة، أو يحمل مشروعًا لتوطين المعرفة والتقنية، أو يفكر بمشكلات البطالة والمخدرات؛ فهذه الملفات الكبيرة - برغم أولوياتها وأهميتها في مشروع النهضة - تزاحمها في العقلية الليبرالية قضايا المرأة والحجاب والحرية الجنسية.. ونحوها من القيم التي تصبغ المجتمعات المسلمة بأخلاقيات الغرب[1].

المثال الثاني: التحالف مع الاستبداد:

اقترنت الدعوة إلى الحرية السياسية والديمقراطية بالمشروع الليبرالي العربي، ولبثنا ردحًا طويلًا من الزمن نسمع دعوات التبشير

---

(١) من رائدات السفور نظيرة زين الدين (ت ١٩٧٦م)، كانت تنتقد دعوة من تسميهم بالحجابيين بأن المدخل إلى الرقي هو المسابقة للاختراعات والاكتشافات، ثم تقول: «ونحن نقول: لا يقوم بناء بلا أساس، ولا يمكن الوصول إلى أعلى السلم إلا بالصعود درجة درجة، وأساس البناء لرقي الأمة تحرير الأم، وأول درجة من سلم الرقي هو السفور»؛ كتاب «السفور والحجاب» (ص٦٢)، ثم تزعم قائلة: «رأيت أن الأمم التي نبذت الحجاب، أمم راقية في العقل والمادة، رقيًا ليس للأمم المتحجبة مثله...» (ص٩-١٠). فمدخل النهضة هو السفور وليس العلم! فأي تجهيل وتضليل أشد من هذا الانتكاس؟!

بالتعددية والديمقراطية، ثم تبيَّن أنَّ هذه الدعوات ما هي إلا أكاذيب فجَّة لا حقيقة لها، ورأينا كيف أن الليبراليين ينكشفون في كل استحقاق انتخابي في العمل السياسي، ويظهر وجههم الديكتاتوري المتحالف مع الاستبداد والقمع، المحرّض على الإقصاء والتهميش، وبعضهم ابتدع مصطلح «ديمقراطية الاستثناءات» لاستثناء بعض القوى السياسية الفاعلة[1]؛ ويعيب د. فؤاد زكريا على الدولة أنه لا توجد عندها محاولات جادة للتصدي للجماعات الإسلامية في محاولة لترجيح كفة المستنيرين العرب، ويتملكه خوف شديد من وصول الإسلامين إلى الحكم ولو عن طريق الديمقراطية كما حصل في الجزائر، ويطالب بتقييد ذلك بالقانون[2]!

فأكثر الليبراليين العرب ينتقون من الليبرالية التمرد الفكري والفساد الاجتماعي، وينقلبون على الإصلاح وما يسمونه بالديمقراطية، ويتنكرون للحقوق السياسية، والحريات الحقوقية دون معايير موضوعية أو أخلاقية.

إذن الأمر ببساطة شديدة: انتقائية تكشف عن تناقض صارخ

---

(١) انظر: فهمي هويدي، «المفترون» (ص٢٣).

(٢) د. فؤاد زكريا، ندوة الحركات الإسلامية والتعددية السياسية (ص١٥)، نقلًا عن تركي الربيعو، «الحركات الإسلامية في منظور الخطاب العربي المعاصر» (ص٧١ - ٧٢).

بين القيم النظرية والممارسة الواقعية، من أجل ذلك ليس مستبعدًا أن تجد بعض الليبراليين يغيرون فكرهم ومواقفهم كما يغيرون ملابسهم، وبعضهم لديه قدرة فائقة على التلون، فلا توجد معايير موضوعية أو أخلاقية تحكم تصرفاتهم، وهذه الازدواجية من ثمار حداثتهم المتلونة، فقد عرف بعض الغربيين الحداثة بأنها: «المقدرة على أن يغير الإنسان قيمه بعد إشعار قصير!»[1].

(١) د. عبد الوهاب المسيري، «رحلتي الفكرية» (ص١٩٣).
وقد كتبت عن هذه الازدواجية والانتقائية العلمانية الكاتبة التركية مروة صفاء قواقجي - أول محجبة تدخل البرلمان التركي - في كتاب لها بعنوان: «ديمقراطية بلا حجاب.. تاريخ داخل التاريخ»، تحدثت فيه بمرارة وألم عن الإقصاء الحاد الذي تعرضت له من أدعياء العلمانية، ومما قالت: «ألم تكن حقوق التعلم والتثقف والتقدم وتبوء مكانة مرموقة في المجتمع مقتصرة على مجموعة من الناس؟! أي تلك المجموعة الكمالية العلمانية التي ليست في الحقيقة بعلمانية، بل تتاجر بالعلمانية وتزعم بأنها معاصرة، لكنها في المقابل لا تتسامح مع من يختلف معها في المظهر والتفكير، ولا تطيق وجود من سواهم، وتظن أنّ الالتحاق بركب التقدم الغربي ينحصر في تقليد اللباس، كما تروج للاستنساخ الفكري. وهذه هي المجموعة التي ظلمت الشعب التركي المتدين منذ سنوات طويلة، ووصفته بصاحب العقل العنكبوتي، وقدمت المرأة المحجبة التركية في صورة فلاحة أو خادمة في المدارس والبيوت، وانتهزت جميع الفرص لتوجيه انتقادات إلى النساء المحجبات بسبب لباسهن، كما اعتدت على حقوق الإنسان التي هي حق طبيعي لكل إنسان»؛ «ديمقراطية بلا حجاب» (ص٢٥-٢٦).

المنطلق الرابع: التمرد القيمي والأخلاقي:

مضى الليبراليون العرب فيما يسمونه «الحرية الاجتماعية» إلى مدى بعيد جدًّا، فسقط كثير منهم في مستنقعات الخنا والفجور، وتقلبوا في أوحال الرذيلة، وراحوا يجرون الأمة إلى ميادينهم النجسة، ليصبح هذا الواقع هو المدخل الرئيس لإعادة صياغة المجتمع وتشكيل هويته!

لقد ارتكز المشروع الليبرالي على الابتذال المفرط للحرية الفردية، وقراءة الإنسان قراءة مادية شهوانية، واختزال صورة المرأة بأبعاد جسدية رخيصة، والسعي لإحداث تغييرات جذرية في البنية الاجتماعية والقيمية. ولعلَّ هذا هو المشروع الوحيد الذي يملكه هؤلاء المفسدون، يسوقهم في ذلك تمردهم على سلطان الدين، وغارتهم المتشنجة على القيم والأخلاق والأعراف الاجتماعية، حتى زعم أحدهم أن من ذنوبنا: «القبول بصبغ الحياة الاجتماعية كلها بصبغة الأيديولوجيا الإسلامية، والإصرار على إقحام الدين في شؤون الدنيا لإعاقة الحداثة»[1]!

ويتمَّدح أحدهم بالقيم الليبرالية باغترار شديد، قائلًا:

(١) صحيفة الوطن السعودية، (١١٣٩)، ١٧/ ٩/ ١٤٢٤هـ.

«القيم الليبرالية بتقدميتها التي تعانق إنسانية الإنسان هي مستقبل الإنسان المعاصر، ليس الغربي - كما يتوهم الرجعيون في مكان - وإنما الإنسان المعاصر في كل زمان ومكان. صحيح أنها قيم غربية، أو على الأقل صنعها تاريخ التطور الغربي، لكن يجب أن نتذكر أن الزمن - منذ قرنين إلى أربعة قرون - كان زمنًا غربيًا، وأن الآخرين لم يستطيعوا أن يقدموا شيئًا ذا بال في تدعيم الرؤية الإنسانية التي تصنع حضارة هذا الكون، والتي هي الآن حضارة غربية»[1]؟!

فهذا التبجيل لقيم الغرب والهيام بها، والترويج لها بهذا الاندفاع، لابد أن يكون له أثر بالغ في تشكيل منظومة من سلوك ليبرالي يتمسح بفلسفة الغرب وثقافته، ويتخلق بأخلاقه، ويسلك سبيله، ويسعى لتغريب المجتمعات الإسلامية، وطمس هويتها!

وبسبب هذه العقلية الهائمة بقيم الغرب تجد أن شاعرًا مثل نزار قباني يختزل مشكلات العالم العربي في الجنس، ويعده المشكله الرئيسة التي تتمركز حولها مشكلات العرب، حتى قال: «نظرتنا

---

(١) محمد علي المحمود، صحيفة الرياض، ٣١/ ٥/ ٢٠٠٧م. أما سيد القمني فقد كان أكثر فحشًا وأشد فجورًا في مقارنته المستفزة بين القيم الإسلامية التي يصفها بالبدائية والصحراوية، وقيم العدل وحقوق الإنسان الغربية. انظر كتابه: «انتكاسة المسلمين إلى الوثنية».

المتخلفة إلى الجنس هي وراء تخلفنا الاقتصادي، ووراء انقسام المجتمع العربي جنسيًّا إلى قارتين منفصلتين، وهذا ما يدفعني إلى اعتبار الجنس مشكلتنا الأساسية، ومتى وجدت هذه المشكلة حلولها، فإن بقية المشاكل ستحل نفسها بنفسها»[1].

فأي طريق للنهضة يبدأ من التقلب في أوحال الجنس؟!

ولأن الدين هو الحصانة التي تحمي الأسرة والمرأة والمجتمع من عاديات القيم الغربية ومن هذا التفلت الساقط، شنَّ بعض الليبراليين سهامهم على الإسلام، وعدوه سببًا رئيسًا للتخلف، وعائقًا من عوائق التنمية، وأكتفي ها هنا بذكر نصّ واحد يدل على بعض الغلو الليبرالي، حيث تقول أميرة الدرة - مديرة تخطيط الأسرة في دمشق -: «تخلف الفرد العربي ذكرًا كان أم أنثى يعود إلى جذور كثيرة، إلا أنَّ الجذر الأساس هو الدين، فمنه جاءت التقاليد، والعادات، والممارسات التي تحكم الفرد العربي. وإن له قيودًا قوية تشد إلى الوراء المرأة العربية على وجه الخصوص، حيث تجد في بعض الأحيان أنها تعتبر مالكة لنصف عقل ونصف دين.. وفي حالات أخرى تكون ضلعًا من ضلوع الرجل، وهي خبيثة في كل ما تفعله، ومهووسة بكل ما هو محرَّم، وما لم نجد تفسيرًا

---

(١) منير العكش، «أسئلة الشعر» (ص٢٠٠).

جديدًا للدين، وطريقة لإبعاد الدين عن تشكيل الفرد العربي، فإننا لن ننجح في تغيير الهياكل الاجتماعية»[1].

فلكي يحدث التغيير الاجتماعي في العالم الإسلامي - بحسب رأيها - لابد من إبعاد الدين، أو إيجاد تفسير جديد له يحقق رغبتهم!

ويمكن اختزال معالم المشروع الاجتماعي الليبرالي بالمعالم الآتية:

١) التحلل من القيم والتمرد على المبادئ؛ فالقيم بزعمهم ما هي إلا قيود مصطنعة تحدُّ من الحريات، وتكبت الطاقات المبدعة[2]، ومن ثم فإن الحياء والعفة والستر ونحوها من الفضائل، قيود تجاوزها الزمن المعاصر؛ ولذا فهم ينعون

(١) نقلًا عن إيفون حداد وجون اسبوزيتو، «الإسلام والعنوسة والتغير الاجتماعي» (ص٤٩).

(٢) اقرأ بعض غثائهم الذي تقشعر له الفطر السليمة وتشمئز له النفوس، حين يصوغونه في رواياتهم وقصصهم وأشعارهم في كتاب: «الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها» للدكتور سعيد بن ناصر الغامدي، وكتاب: «الانحرافات الشرعية والأخلاقية في الرواية السعودية النسائية» للدكتور خالد بن عبدالعزيز بن زويبع، وانظر أيضًا: مصطفى بيومي، «الشذوذ الجنسي في الأدب المصري».
أما فجورهم في السينما وتليفزيون الواقع والأغاني المصورة ونحوها مما يسمونه إبداعًا، فهو بضاعتهم التي تكشف فساد مستنقعهاتهم!

على المسلمين ما يسمونه بـ«ذهنية التحريم»، ويسخرون من الحجاب فضلًا عن النقاب[1].

٢) الدعوة المحمومة لتغيير الأنظمة والتشريعات المحلية لتتوافق مع مقررات ومواثيق الأمم المتحدة والمنظمات النسوية الدولية.

٣) اختزال قضايا المرأة وحقوقها في مسخ هويتها؛ فقضية السفور، ونزع الحجاب، والاختلاط، ونزع قوامة الرجال.. ونحوها هي الحقوق التي يعنونها.

٤) استحداث قضايا جديدة هامشية هدفها تسطيح قضايا المرأة، وتضخيمها بصورة مبالغ فيها، تشعر المجتمع بأنه مجتمع متخلف أو سينهار إذا لم يستجب لمطالبهم! ومن لطائف هذا الموضوع أن مندوبة باكستان في الأمم المتحدة قالت في جلسة خاصة بقضية المرأة: «إن مشكلة المرأة في باكستان أن تشرب ماءً نقيًا، لا أن تتزوج امرأة مثلها، ولا أن تكون لها حرية الاتصال بمن شاءت من الرجال»[2].

وأحسب أن المشروع الليبرالي العربي تجاوز قضية ما يسمى بتحرير

---

(١) انظر مثلًا: صادق جلال العظم في كتابه «ذهنية التحريم»، ورجاء بنت سلامة في كتابها «نقد الثوابت.. آراء في العنف والتمييز والمصادرة».

(٢) انظر: د. جعفر شيخ إدريس، «الإسلام لعصرنا» (ص٨٦).

المرأة إلى مرحلة المنافحة عن قيم الحرية الجنسية وتطبيع الشذوذ الاجتماعي، من خلال تسويق اتفاقات الأمم المتحدة كاتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (السيداو) ونحوها، وتبني أجندة المنظمات النسوية[1]، وأطر المجتمعات العربية عليها أطرًا.

وإذا كان المجتمع الغربي قبل بالشذوذ الجنسي «بحسبانه شكلًا طبيعيًّا من أشكال التعبير عن الهوية»[2]، فإن الليبرالي العربي استقبل هذه النزعة بعقله الشهواني الشاذ، وإمعته المادية المهزومة، واستمرأ

(١) أصدر بعض المثقفين العرب بيانًا في شهر مارس عام ٢٠٠٤م بعنوان «بيان ضد كره النساء والمثليين وضد معاداة السامية» بعد اللغط الذي دار حول القوانين الفرنسية لمنع النقاب، قالوا في مقدمته: «نحن النساء والرجال الموقعين على هذا البيان من ذوي الثقافة الإسلامية، وفينا من هو مؤمن، ومن هو لا أدري، ومن هو ملحد، نعلن إدانتنا بكل شدة لكل التصريحات والتصرفات المعبرة عن كره النساء والمثليين ومعاداة السامية، والتي تمارس لليوم بفرنسا باسم الإسلام. إن معادة النساء والمثليين واليهود هو الثالوث الذي نشخص به الإسلام السياسي الذي يعيث فسادًا منذ زمن بعيد في بلداننا الأصلية، وقد قاومناه هنالك، ومازلنا نصر على مقاومته...».
وقد وقع على هذا البيان أكثر من ٣٠٠ مثقف، منهم شاكر النابلسي وجورج طرابيشي وتوفيق علال ورجاء بن سلامة وغيرهم، ونشر في موقع «إيلاف».
وفي السياق نفسه شنَّ عدد من المثقفين الليبراليين حملة شرسة على النقاب، وكتبت مقالات نقدية كثيرة أشد استفزازًا من الموقف الفرنسي، ومن ذلك ما كتبه أدونيس أحد كبار أدعياء الثقافة الحداثية، بعنوان: «حجاب على الرأس أم حجاب على العقل؟!» الحياة ٢٦/ ٦/ ٢٠٠٦م.
فأي فساد فكري وسياسي أسوأ من هذا الفساد المخزي؟!

(٢) عبد الوهاب المسيري، «رحلتي الفكرية» (ص٢٠٧).

الولوغ في هذه الأوحال والدعوة إليها[1]، وصدق المولى جل وعلا: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

(١) في عام ٢٠٠٤م تأسست جمعية في لبنان خاصة بالشواذ اسمها: «حماية لبنانية للمثليين»، وتسمى اختصارًا «حلم»، انظر: د. نهى قاطرجي؛ مقالة بعنوان: «ظاهرة الشذوذ في العالم العربي.. الأسباب والنتائج وآليات الحل»، منشور في مجلة البيان، العدد (٢٧١) ربيع الأول ١٤٣١هـ. وقد اطلعت على كتاب من إصدار جمعية حلم بعنوان: «رهاب المثلية» يطفح غثاءً وفجورًا!

المنطلق الخامس: نقض المشروع الإسلامي:

مع قناعتي بأن مشكلة كثير من الليبراليين ليست مع الإسلاميين فحسب بل مع الإسلام نفسه، لكن ترسخت خصومتهم مع الإسلاميين لأنهم القوة الحقيقية التي تنافسهم وتكشف عوارهم، ولذا فإن كثيرًا من الليبراليين العرب يقرؤون واقع الحركات الإسلامية في عالمنا الإسلامي قراءة متحيزة، ليست محايدة ولا موضوعية، فعقلية الخصومة والعداء تسيطر عليهم، وتصوغ علاقاتهم نزعة الإسلاموفوبيا المرضية، وأصبح مشروعهم لا يتجاوز في كثير من الأحيان إقصاء المشروع الإسلامي ونقضه بكل مقوماته الفكرية والاجتماعية، وقطع طريق مسيرته، بل وصل في بعض الدول العربية إلى التماهي مع المستبد، وتعزيز القبضة الاستئصالية المتشنجة، يقول الشيخ عبد الله جاب الله بعد تجربة له طويلة في الصراع مع الأحزاب العلمانية في الجزائر: «إن المصالح الفردية والحزبية والفئوية والجهوية هي عقيدة التيار اللائكي (العلماني)، ولذلك فإنه يعادي التيار الإسلامي ويحاربه، ليس لكون هذا الأخير ضد الديمقراطية، وضد الحقوق والحريات الفردية والجماعية؛ بل لكونه يملك طرحًا فيه من الجدية والقدرة على التجدد، والتأثير والكسب، ما يجعله يؤثر في الجماهير ويكسبها

لطرحه وبرنامجه، ويلفها حول أحزابه ورجاله، وفي ذلك على حدٍّ تصورهم خطر حقيقي على مصالحهم غير المشروعة... إن الطرح اللائكي غير قادر بشكل فعلي على كسب ثقة الناس ونيل ثقة الجماهير، ولذلك فهو يرفض أن ينافسه الطرح الإسلامي»[1].

وعقلية المناكفة للمشروع الإسلامي اعترف بها فؤاد زكريا أحد أبرز منظري الاتجاه العلماني ، فمما قاله عن التيارات العلمانية: «اتجهت الحركة الإسلامية المعاصرة إذن إلى المزيد من الفعل الإيجابي، وإلى المزيد من التوسع والشمول، وصب كافة جوانب المجتمع في قوالبها الخاصة، أما العلمانية فإنها علمانية سلبية تعرف جيدًا ما لا تريد، لكنها لا تتوحد حول هدف إيجابي يحدد لها ما تريد؛ فالعلمانية اليوم تضم القومي واليساري والليبرالي والمثقف غير المسيس، وبقدر ما يختلف هؤلاء في تعريف مفهوم التقدم أو الإصلاح أو النهضة، وفي تحديد نوع المسار الذي يسعون إلى توجيه المجتمع نحوه؛ فإنهم يتفقون جميعًا على رفض الأهداف العامة التي يدعو إليها التيار الإسلامي». ثم يمضي لتأكيد هذه المناكفة بقوله عن تلك التيارات: «إنها لا تكون مشروعها للنهضة، وإنما تشترك في رفض المشروع الذي تقدمه الحركة الإسلامية المعاصرة، وإن الفرق بين التيار

(١) عبد الله جاب الله، «خلفيات الصراع بين الإسلاميين واللائكيين» (ص٨).

الإسلامي المعاصر والاتجاه العلماني الذي يتصدى له ليس تضادًا بين مشروعين، وإنما هناك مشروع إسلامي من ناحية، ومحاولات دفاعية لنقد هذا المشروع وبيان نقاط الضعف فيه من ناحية أخرى، وهو ليس تضادًا بين أيديولوجيتين؛ لأن هناك من جهة أيديولوجية إسلامية وتختلف تياراتها في بعض التفاصيل، ولكن الاتجاه العام والإستراتيجية البعيدة المدى متقاربة، وهناك من جهة أخرى مجموعة من الأيديولوجيات الشديدة التباين التي لا يجمع بينها سوى رفض الحل السياسي الذي يقترحه التيار الإسلامي»[1].

ويتحسر أدونيس في محاضرة له على صعود التيار الديني، ويقول بكل صفاقة: «إن هذه العودة القوية للتيار الديني، وهذا الالتفاف حول ما يسمى المشروع الإسلامي، كما يفهم ويمارس اليوم؛ هو دليل آخر على الانقراض الحضاري العربي»[2].

وفي سياق آخر يصف علي الربيعو تحليلات المثقفين العرب بأنها: «تحليلات تقوم على نفي الآخر وإقصائه، إنها ثقافة إقصاء

---

(١) فؤاد زكريا، «الصحوة الإسلامية في ميزان العقل»، نقلًا عن محمد مورو، «علمانيون وخونة» (ص١٠٣).

(٢) أدونيس، في محاضرة بعنوان «نحو ممانعة جذرية شاملة» ألقيت في الجزائر عام ٢٠٠٨م، ونقلت أجزاء منها بعض المواقع الجزائرية الإلكترونية، منها موقع «جزايرس».

لمَّا نتخلص منها بعد. فالإسلاميون عمومًا تكفيريون ورجعيون ولا فائدة منهم إلا بإقصائهم، بهذا يكشف التنويري العربي عن انحيازه المسبق، وعن شعاراته الجوفاء التي تحيلنا إلى نتيجة أن هناك ديمقراطية لم يمل المثقف من رفعها كشعار، ولكن بدون ديمقراطيين»[1].

بل أبعد من ذلك يدعو العفيف الأخضر إلى عزل الإسلاميين بالتعاون الإستراتيجي مع العالم الغربي، قائلًا: «في نظري إستراتيجيًّا أنصار المشروع الحداثي الديمقراطي يجب أن تركز بالتعاون بين المجتمع المدني العالمي ومع الإعلام العالمي وأيضًا مع الدبلوماسية الدولية، على منع النخب العربية والإسلامية من ممارسة الإسلاموية بدون إسلاميين، أي: من سرقة مشروع الأصولية لتطبيقه بالنيابة عنها لمجرد أن تبقى في الحكم»[2].

وقد رأينا في موجات الثورات العربية أن التيارات الليبرالية بمدارسها المختلفة سعت لتشويه صورة الإسلاميين بطريقة رخيصة فجة، وتبنَّت ما سمي بالثورات المضادة، وتحالفت مع جميع القوى المناهضة للإسلاميين، ورمتهم عن قوس واحدة، وتنكرت

(١) تركي علي الربيعو، «الحركات الإسلامية في منظور الخطاب العربي المعاصر» (ص١٣٦).
(٢) الحوار المتمدن ١٢/ ١٢/ ٢٠١٣م.

لشعاراتها الثورية، بل لقيمها الإنسانية، ورأينا المثقف الليبرالي يخفق عند سؤال الحرية والديمقراطية، ويُزين للمستبد أفعاله، ويدافع عن تخبطه، ويمده في غيه.

ومع زيادة التوحش السياسي تعلو لغة التبرير والتستر عند كثير من المثقفين الليبراليين، حتى أصبح بعضهم حارسًا للطغيان، وردءًا للاستبداد، وشريكًا في التزوير، وما المشكلة عنده في ذلك ما دام الهدف هو التخلص من الإسلاميين، حتى إن كان الثمن هو قتل الإنسان وانتهاك حقوقه، وضياع الأوطان ومقدراتها؟! فهذا مقتضى الفكر البراجماتي الذي يحكم على المواقف والمتغيرات بعيدًا عن أي منظور أخلاقي، ويعزل السياسة عن القيم والمبادئ!

الفصل الثاني:
صناعة العبيد

الفصل الثاني

صناعة العبيد

شرح المفكر الفرنسي الشهير «جان بول سارتر» بوضوح كيفية صناعة العبيد وتربية التبعية الفكرية بقوله: «منذ زمن غير بعيد جدًّا كان عدد سكان الأرض مليارين، منهم خمسمائة مليون من البشر، ومليار وخمسمائة مليون من (السكان الأصليين). فالأولون يملكون (الكلمة)، والآخرون يستعيرونها. وبين هؤلاء وأولئك يقوم بدور الوسطاء ملوك صغار مشترون، وإقطاعيون، وبورجوازية زائفة ملفقة تلفيقًا. وكانت الحقيقة في المستعمرات تبدو عارية، وكانت عواصم (البلاد المستعمرة) تؤثرها مكسوة، وكان على السكان الأصليين في البلاد المستعمَرة أن يحبوا هذه العواصم، كما يحبون أمهاتهم إن صح التعبير. وشرعت الصفوة الأوربية تصنع صفوة من السكان الأصليين. أخذت تصطفي فتيانًا مراهقين وترسم على جباههم بالحديد الأحمر مبادئ الثقافة الأوربية، وتحشوا أفواههم بأشياء رنانة، بكلمات كبيرة لزجة تلتصق بالأسنان، ثم تردهم إلى ديارهم بعد إقامة قصيرة في العاصمة وقد تزيفوا. إن هؤلاء الأفراد الذين هم أكاذيب حية تسعى، قد أصبحوا لا يملكون ما يقولونه لإخوتهم، لأنهم لا يزيدون على أن يرجِّعوا ما يسمعون؛ فمن

باريز ولندن وأمستردام كنا نحن نهتف قائلين: (باريتون، أخوة) فإذا بشفاه تنفرج في مكان من الأمكنة بإفريقيا أو آسيا لتقول: (بتينون!.. خوّة..) وكان ذلك هو العهد الذهبي»[1].

وبقراءة هذا النص الفاضح، تدرك أن مشروع الغرب يعتمد في الأساس على تعبيد النخبة، وتكتشف أنَّ كثيرًا من أولئك الببغاوات من بني جلدتنا ما هم إلا صنيعة تمثل طلائع الاستعمار وعبيده! وغاية مشروعهم أن يكونوا أبواقًا إعلامية تتأرجح هنا وهناك لترسيخ عبوديتنا للغرب؛ ولذا قال الكاتب الفرنسي موريل: «إنَّ أروع ما حققه الاستعمار هو مهزلة تصفية الاستعمار.. لقد انتقل البيض إلى الكواليس، لكنهم لا يزالون مخرجي العرض المسرحي»[2].

وها هو ذا «جان مارك هلا» - أحد المفكرين في غرب إفريقيا - يعطي أنموذجًا لهذه الصناعة الاستعمارية فيقول: «التعليم الاستعماري يسعى إلى خلق أفراد سود في ألوانهم، بيض في تفكيرهم، ومع فرضه لغة الاستعمار استخدم التاريخ لتوطيد مراميه السياسية والتربوية، فمناهج الاستعمار تقوم على تلقين الطالب الإفريقي أن

(١) جان بول سارتر، في مقدمة كتاب: «معذبو الأرض»، للكاتب الإفريقي: فرانز فانون (ص١٥).

(٢) انظر: سيرج لاتوش، «تغريب العالم» (ص٧)، ترجمة خليل كلفت.

فرنسا دولة غنية جبارة قادرة على فرض نفوذها، وفي الوقت نفسه لا تعوزها بمالها ورجالها نجدة الشعوب المقهورة، ولا أن تُصدِّر إلى الشعوب الهمجية ثمار السلام والتحضر»[1].

وأحسب أنَّ الكاتب الليبرالي هشام صالح ينصف الليبراليين عندما يصف المثقف الليبرالي بأنه: «كالفلاح الفقير الذي يقف خجلًا بنفسه أمام الغني المؤثر. يقف مثقفنا العربي أمام نظيره الغربي وهو يكاد يتهم نفسه ويتعذر عن شكله غير اللائق، ولغته غير الحضارية، ودينه المتخلف. ويستحسن المثقف الغربي منه هذا الموقف، ويساعده على الغوص فيه أكثر فأكثر، حتى ليكاد يلعن نفسه، أو يخرج من جلده، لكي يصبح حضاريًا أو حداثيًا مقبولًا»[2]، وفي السياق نفسه يصف الكاتب الليبرالي علي حرب المثقف العربي بأنه «صنيعة الغرب بمعنى من المعاني» وبأنه «يلعب اللعبة التي يفرضها عليه الغرب»[3].

وقد مضى بعض أفراخهم إلى أكثر من ذلك؛ فعقدة الاغتراب تحوطهم في معظم رؤاهم، وتُسيرهم في أكثر مواقفهم، فراحوا

---

(١) إمباي لو بشير، «قضايا اللغة والدين في الأدب الإفريقي» (ص٢٥).

(٢) د. هاشم صالح، مجلة الوحدة، السنة الثامنة، العدد (٩٦) سبتمبر ١٩٩٤م، (ص٧٤-٧٥).

(٣) علي حرب، «الممنوع والممتنع - نقد الذات المفكرة» (ص٢١٣-٢١٤).

يصولون على هوية الأمة وفكرها صولة المحاربين، ويتشدقون بكل صلف وكبرياء مفتخرين بانتسابهم إلى المدرسة الليبرالية، ويرسمون لنا طريقًا واحدًا في النهضة لا ثاني له، فلا حضارة ولا تقدم إلا بأن ننزع لباسنا وعقولنا ونلبس لباس الغرب، ولذا أصبحت النخب العلمانية كما يقول الدكتور محمد مورو: «مجرد ناقل لفيروس التخريب والتفجير، وليست جسرًا للعبور إلى الحضارة، أو تجديد البنى الثقافية والحضارية في مجتمعاتها»[1]. وها نحن نسمع صرخات كثير من الليبراليين في فضائنا الإعلامي والفكري تصّاعد يومًا بعد يوم: العلمانية.. الليبرالية.. الحداثة.. فوكو.. كانت.. نيتشه.. جون لوك..[2]!

وإذا كان بعض الليبراليين يتهم الإسلاميين بتقديس التراث ورموزه، فهم في الحقيقة قدَّسوا رموز الغرب وثقافته وأفكاره، الأمر الذي أحالها كما يقول أحدهم: «إلى أفكار بائسة ومقولات خاوية، وفي الحالة القصوى من العبادة والتأليه، وتحولت إلى أصنام تُعبد أو إلى أقانيم تقدَّس؛ بل إلى ألغام تفجّر المشاريع الحديثة»[3].

---

(١) د. محمد مورو، «علمانيون وخونة»، (ص٥٦).

(٢) من النتائج الاستقرائية التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية: «أن من أدمن على أخذ الحكمة والآداب من كلام حكماء فارس والروم، لا يبقى لحكمة الإسلام وآدابه في قلبه ذلك الموقع»؛ اقتضاء الصراط المستقيم (١ / ٥٤٢).

(٣) علي حرب، «مُلاك الله والأوطان» (ص٦٨).

واقرأ شيئًا من هذا الاغتراب عندما يقول الدكتور هشام صالح: «من هنا تركيزي على مفكري عصر النهضة والتنوير الأوربي الذين أتعلق بهم وبأفكارهم وطروحاتهم كخشبة خلاص تنقذني من الظلام اللاهوتي المرعب الذي يلف طفولتي ويلف العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه أيضًا في هذه اللحظة، فعند هؤلاء المفكرين النهضويين أو التنويريين أجد ضالتي، أجد نفسي، بهجتي، أفقي المنفتح، بهم أستعين لكي أزيح الكابوس الأخطبوطي المرعب عن حياتي ووجودي»[1].

وتأمل عقدة النقص والاستلاب هذه عند أحد الصحفيين إذ يقول: «وكنت أقول وما أزال أنَّ الذي لا ينبهر بالغرب وبمنجزات الغرب هو بكل المقاييس يعاني من مرض عصابي. تلفت حولك - بالله عليك - ستجد أن الغرب وثقافة الغرب وعلوم الغرب وإدارة الغرب وإنجازات الغرب تكتنف كل صغيرة وكبيرة في حياتك بلا استثناء، فلماذا لا تنبهر وتعجب بالغرب...»، ثم يمضي ليؤكد يأسه وليقرر مغالطته الفكرية في تأكيد التبعية المطلقة للغرب قائلًا: «إنَّ من يظن أن بإمكاننا أن ننتقي من الثقافة الغربية ما نريد ونترك ما لا نريد هو واهم

(١) د. هشام صالح، «الإسلام والانغلاق اللاهوتي» (ص٢١-٢٢).

بـكل تأكيـد، وهـذا لا أقولـه أنـا فحسـب وإنـما يثبتـه كل علـماء الاجتـماع؛ فالحضارة والتحضر منظومة فلسـفية متكاملة يسـتحيل أن ننتقـي منهـا مـا نريـد ونترك مـا لا نريـد!»[1].

إذن فقانون النهضة - بحسب رؤيته - أن ننسلخ من هويتنا وثقافتنا بزعمه[2]، ونتحول إلى قطيع من العبيد لا نفكر ولا نبدع، وإنما تتجارى بنا أهواء الغرب.

إننا أمام مشهد مركب من ظاهرتي الإحباط والانسلاخ الشديد من الذات من جهة، والاغترار الشديد بالغرب من جهة أخرى، وما هذا النص إلا تعبير عن صدمة وغربة حضارية، ودليل قاطع على مدى العجز الفكري والقيمي، وعلامة على مقدار السقوط المريع لتلك النخب تحت أعتاب الغرب، ووقوعهم في مأزق العبودية والتبعية العمياء التي تفتقر لأدنى حدود الاستقلال، وأمثلهم طريقة لا

(١) محمد آل الشيخ، جريدة الجزيرة عدد (١٢٥٦٣)، ٢/ ٢/ ١٤٢٨هـ.
وقد وصف المناضل المغربي الكبير علال الفاسي في منتصف الستينات من القرن الميلادي الماضي اتصال هؤلاء العبيد بالغرب قائلًا: «اتصلوا بالغرب وهم في أسفل درجات الانحطاط وهو في الرقي الأسمى، فمشوا إليه مشية المستجدي المتلمذ والمقلد الأعمى». انظر: «دفاع عن الشريعة» (ص٦٤ - ٦٦).

(٢) ممن ردَّ على هذا الزعم الدكتور زكي نجيب محمود، وهو ممن أفنى عمره في دراسة الفلسفات الغربية وتربى على فكرها؛ انظر: زكي نجيب محمود، «تجديد الفكر العربي» (ص١٢-١٤).

تتجاوز رؤيته ترجمة الفكر الغربي، والانكفاء المطلق على أدواته المعرفية وأصوله الفكرية!!

وها هو ذا أنموذج آخر يسفه رؤيتنا لحضارتنا قائلًا: «الأيديولوجيا العربية والإسلامية نفخت في الوجدان العربي والإسلامي تصورات موهومة عن الذات، جعلتها تعاين الآخر من خلال هذا التورم المرضي. لا يمكن لأمة تم شحنها بخرافة أنها أفضل الأمم أن ترتطم بحقيقة إفلاسها الحضاري واندحارها الأممي وانحطاطها النهضوي، دون أن تتشظى لحظتها الوجدانية إلى لحظات من الفوضى المضطربة في الوجدان...»، وبعد مقطوعة طويلة من الهجاء يقرِّر بكل استعلاء تفوق الغرب بلغة قطعية لا تقبل الشك: «لقد كانت الحضارة الغربية - إبان لحظة اللقاء - معجزة إنسانية لم يسبق لها مثيل في التاريخ البشري، بل لم يوجد ما يقاربها ولو في أدنى مستوياتها البدائية التي أفرزتها فترات الإصلاح الديني»[(١)]!

فقل لي بربك أبعد هذه العبودية المطلقة للغرب يمكن أن يبدع الليبراليون مشروعًا للنهضة؟!

---

(١) محمد علي المحمود، «نحن والآخر.. من إشكاليات العلاقة»، صحيفة الرياض العدد (١٣٦٩٥) ٢٠/١١/١٤٢٦هـ.

العبودية تقود إلى العمالة:

إن هذه الهزيمة الفكرية أسست لروح العمالة الحضارية والسياسية لكثير من الليبراليين العرب بأسوأ صورها، فأصبح كثير منهم يستجدي مشروعه من الاستعمار، ولا يخجل من تسوّل النهضة - إن كان ثمت نهضة! - من داخل مدرعة المحتل، وها هو ذا أحد كبار المثقفين يحتفي بالحملة الأمريكية على العراق، ويُصدِّر احتفاءه هذا بالثناء على نتائج الحملة الاستعمارية الفرنسية على مصر قائلًا: «لقد كانت الحملة الفرنسية على مصر شيئًا مثل صدمة كهربائية قوية، أعادت الوعي إلى مجتمعات كانت غائبة عن الدنيا وما جرى فيها خلال قرون من الاستكانة والسكون...»، وبعد أن تحدث عن الصدمات القوية التي أعادت الحياة والفاعلية على يد الاستعمار الغربي في ألمانيا واليابان والصين، يقول عن الاستعمار الأمريكي للعراق: «وإذا كانت الحملة الفرنسية على مصر وللشرق العربي، أو الصدمة الأولى قبل قرنين من الزمان تقريبًا، قد قدمت العرب للحداثة، وقدمت الحداثة للعرب؛ فإن الحملة الأمريكية سوف تقدم العرب للعولمة، وتقدم العولمة للعرب على أوسع نطاق»[1].

ويقول كاتب آخر متفائلًا بالاحتلال الأمريكي للعراق: «إنني

---

(١) تركي الحمد، صحيفة الشرق الأوسط، العدد (٨٨٨٢) ٢٠/ ١/ ١٤٢٤هـ.

من أكثر الناس تفاؤلًا بقدوم أمريكا للعراق، وعندي أسباب عديدة، أولها: أنَّ أمريكا لم تدخل بلدًا إلا وحسَّنت من أوضاعه فهي دخلت اليابان وكوريا وألمانيا، وغيرها من البلدان، والنتيجة أنَّ هذه الدول أصبحت من الدول المتقدمة في الاقتصاد والعلم، أمريكا دفعت من جيبها ١٢ مليار دولار لدول أوربا خلال مشروع مارشال لتنهض صناعيًا بالدول المهزومة وفي مقدمتها ألمانيا، بالإضافة إلى عشرين مليار كديون ميسرة بعيدة المدى...»، ثم ختم مقاله بتسويغ فج للاحتلال: «إنني واثق أن أمريكا ستلعب في منطقتنا دور المعلم الحازم الذي يريد النجاح لتلاميذه، حتى لو تطلب ذلك درسًا قاسيًا، إن العالم العربي لن يتغير من تلقاء نفسه، لذلك أقول أهلًا بالنموذج الأمريكي الحر، وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم!»[1].

ويحق لنا أن نسأل بعد مرور أكثر من عشر سنوات على الاحتلال الأمريكي للعراق: أي عولمة ونهضة قدمها المحتل للعراقيين غير القتل والدمار والتهجير وانتهاك حقوق الإنسان؟![2].

---

(١) خالص جلبي، صحيفة الشرق الأوسط، ٣/ ٤/ ٢٠٠٣م.

(٢) ألف في ذلك عدد كبير من الكتب والتقارير، منها كتاب ألفه مايكل أوترمان وريتشارد هيل وبول ويلسون، بعنوان: «محو العراق.. خطة متكاملة لاقتلاع عراق وزرع آخر».=

لقد تعامل الاحتلال الأمريكي مع الشعب العراقي بمنطق الأخلاق الليبرالية التي ترتكز على مبدأ المنفعة فحسب، عارية من أي ثوب أخلاقي؛ فالأخلاق لم تعد قيماً عليا، بل مجرد قيم تجارية تقاس كميًّا بمبدأ المنفعة[1].

فهذه هي القيم التي يرحب بها بعض الليبراليين العرب ويريدون أن يقدموها إلى بلادنا، وإذا كان الروائي الجنوب إفريقي بيتر أبراهام عدَّ التنصير دابة الاستعمار في إفريقيا[2] فإن هؤلاء الليبراليون هم الدابة الحقيقية للاستعمار في بلادنا العربية والإسلامية، ولذا يقول

=وهذه الممارسات الوحشية المستفزة التي يطفح بها واقع الغرب، تصدم أحيانًا بعض أنصاره وعبيده، فها هو ذا الدكتور هاشم صالح يعترف بوضوح قائلًا: «وأعترف شخصيًّا أنه من أكبر خيبات حياتي أني اكتشفت مؤخرًا حجم الخيانة التي ارتكبها الغرب في حق المشروع الحضاري لعصر النهضة وعصر التنوير في آن معًا. لقد هالني اكتشاف حجم المرض الذي ينخر في أحشاء الحضارة الغربية، وهو مرض أخلاقي بالدرجة الأولى، إنه ناتج عن الجشع والأنانية، واعتبار الاستملاك المادي والمصرفي الأفق الذي لا أفق بعده، كنت أتمنى لو أني لم أكتشفه، لأنه راعني وآلمني، وثبط عزيمتي إلى حد كبير». «الإسلام والانغلاق اللاهوتي» (ص٤٩).

(١) انظر: د. الطيب بو عزة، نقد الليبرالية (ص١٥٠)، وقد تحدث مالك بن نبي في أكثر من كتاب عن القيم النفعية للاستعمار، وقتله لعدد كبير من المفاهيم الأخلاقية، واختزاله القيم بالبحث عن المادة (عن الكم!). انظر: «وجهة العالم الإسلامي» (ص١٢٧-١٣٢).

(٢) إمباي لو بشير، «قضايا اللغة والدين في الأدب الإفريقي» (ص١٣٣).

أحدهم متفاخرًا: «الليبراليون العرب هم الفئة الوحيدة في العالم العربي التي تشجع وتدعم وتبارك ما تمَّ في العراق!»[1]؛ فانظر كيف تحولت الجريمة الاستعمارية إلى فضيلة أخلاقية؟!

وليس غريبًا أن تجد في فلسفة هيجل أو نيتشه أو فوكوياما أو غيرهم من مفكري الغرب تبريرًا للاستعمار، وتزيينًا لمخازيه، فهم يتحدثون من منطق القوة الداروينية التي تستعلي على الضعفاء وتسحقهم، لكن أن تفتح الأبواب للاستعمار على مصارعها من بعض الليبراليين العرب، ويتكلفون المعاذير للاحتفاء به، فهذا لا يسمى إلا الانسلاخ الفكري والانتكاس الحضاري[2]!

الطريف أن المفكر الكبير مالك بن نبي تحدث في أكثر من كتاب له عن ثنائية الاستعمار والقابلية للاستعمار، لكنه لم يشر إلى مسوقي الاستعمار من بني جلدتنا[3].

ومن الأمثلة الصارخة على التسويق الجماعي للاستعمار أن بعض الليبراليين في مصر احتفلوا في شهر يوليو ١٩٩٨م احتفالًا

(١) شاكر النابلسي، «سجون بلا قضبان»، (ص٣٢).
(٢) كتب جون بي آلترمان مدير برنامج الشرق الأوسط في معهد الدراسات الدولية والإستراتيجية الأمريكي، مقالًا بعنوان: «الليبراليون الجدد.. عمالة تحت الطلب»، انظر ترجمته في مجلة البيان العدد (٢١٩) ذو القعدة ١٤٢٦هـ وهي شهادة فاضحة لأولئك العملاء!
(٣) انظر مثلًا كتابه: «وجهة العالم الإسلامي» (ص١٠٨) وما بعدها.

حاشدًا بمناسبة مرور مائتي عام على الحملة الفرنسية ودخول نابليون إلى مصر سنة ١٧٩٨م! وتمدح بها الدكتور شاكر النابلسي ووصفها بأنها: «الحادي والمنادي الذي نفخ في رماد العرب آنذاك، وكانت نتيجة ذلك مناداة جيل النهضة العربية في القرن التاسع عشر بالديمقراطية والعدالة والمساواة والأخذ بأسباب العلم»![1].

إنَّ جوهر الليبرالية الغربية: أن يتمرد الإنسان على الدين وسلطان الكنيسة، وعلى كل شيء من حوله، ثم يعبد أهواءه ومصالحه بلا قيود. وجوهر الليبرالية العربية: عبادة الغرب، فالإطار المرجعي للفكر الليبرالي هو فكر الغرب وثقافته، فهما الميزان والمعيار، بل هما القبلة[2]؛ فالحق والعدل يدوران حيث دارت واشنطن وباريس؛ ولذا فلا تستغربنَّ أن ترى في عالمنا العربي كثيرًا من دهاقنة السياسة والفكر، وكثيرًا من صناع الثقافة والفن، وكثيرًا من رموز الإعلام والأدب، عملاء للغرب، يرعون مصالحه في كل نازلة، ويدافعون عن فساده في كل باقعة، ويسبحون بحمده في كل

---

(١) «سجون بلا قضبان» (ص٧٦).

(٢) جاء هذا الوصف على لسان مصطفى عبد الرازق الذي وصف أوربا بأنها: «هي المرشد الأول، والقبلة التي يجب أن نحج إليها»؛ علي عبدالرازق، «من آثار مصطفى عبد الرازق» (ص٨٠).

شاردة وواردة، وأمثال هؤلاء العبيد هم من يسميهم علي حرب بالوسطاء والسماسرة[1].

نعم ليس مستغربًا في تاريخ الحضارات والشعوب أن يحدث الاغترار بالثقافة الغالبة، لكن أن يصل ذلك إلى حد الانقلاب على الذات، والتماهي الأعمى مع العدو، فإن هذا لا يحدث إلا حينما يصل الانتكاس والانهزام إلى حدّه الأقصى!

ومن الملحوظات الذكية للدكتور عبد الوهاب المسيري استنتاجه الاستقرائي أن «الإنسان الذي يؤمن إيمانًا أعمى بالنموذج الحضاري الغربي عادة - وليس دائمًا أو حتمًا - ما ينتهي به الأمر بتقبل الدولة الصهيونية»[2]، فالليبرالية العربية مآلها إلى التصهين!

وقد رأينا أن موجات التطبيع مع الكيان الصهيوني - وخاصة التطبيع الثقافي - أصبحت الجسر الذي يتسلل منه الصهاينة لإعادة تشكيل العقل الليبرالي العربي، وتغيير أفكاره ومواقفه، ويكفي ها هنا أن أذكر مثالًا لأحد كبار المثقفين العرب وهو نجيب محفوظ، الذي عرضت قصته ثرثرة على النيل على أحد مسارح الكيان

---

(١) علي حرب، «أوهام النخبة» (ص١٨٨).
(٢) د. عبد الوهاب المسيري، «رحلتي الفكرية» (ص٤٥٤).

الصهيوني، فقال منتشيًا: «التطبيع الثقافي أمر هام، لأن فيه تلاقي الفكر في إطار من النقاء والصفاء، عند ذلك تذوب سحب التقاتل والصراعات التي تثير جوًا من القلاقل وفقدان الثقة»[1].

(١) مجلة أكتوبر ٢٥/ ٤/ ١٩٨٢م، نقلًا عن مجلة البيان، العدد (١٦٧) رجب ١٤٢٢هـ.

الخاتمة

الخاتمة

اللافـت للنظـر أن بعـض صـور هـذه التبعيـة الفكريـة وقـع في شراكهـا بعـض مـن ينتسـب إلى الفكـر الإسـلامي الحديـث، وجرفـه تيـار الهيمنـة الغربيـة ليـذوب في بوتقتـه الثقافيـة. ولئـن كانـت الصدمـة الحضاريـة التـي تعـرَّض لهـا الشـيخ الأزهـري رفاعـة الطهطاوي (١٨٠١ - ١٨٧٣م) لمَّـا سـافر إلى باريس إمامًا للبعثـة المصريـة قـد زلزلـت قناعاتـه السـابقة وأسـقطته في مـأزق التبعيـة للفكـر الفرنـسي، فـراح يُمجِّـد الحضـارة الغربيـة ويدعـو إلى السـير في ركابهـا؛ فـإنَّ الصدمـة الحضاريـة التـي تعـرَّض لهـا بعـض المفكريـن الإسـلاميين المعاصريـن بعـد أكثـر من مائـة عام عـلى صدمـة الطهطـاوي قـد كشـفت عـن أنـماط فكريـة متعـددة حاولـت أن تفـسر نصـوص الكتـاب والسُّـنة تفسـيرًا عصريًّـا تقدُّميًّـا - زعمـوا! - يجرِّدهـا مـن مقاصدهـا الشرعية، كما سـعت إلى تفريـغ عقـول الأمـة مـن فكرهـا وعقيدتهـا الصافيـة التـي لم تكدرهـا شـوائب الضلالـة، وحشـوها بفكـر مسـتورد يمسـخ الهويـة، ويقطعهـا من جذورهـا الأصيلة، ويدعو إلى إعـادة صياغة القيـم والمبـادئ الإسـلامية بلغـة اعتذاريـة، لتتـلاءم مـع واقـع العولمـة والانفتـاح الحضـاري المعـاصر.

وقـد بـرزت في الآونة الأخـيرة أقـلام واتجاهات مـن المتغربين الإسـلاميين في شـتى التخصصـات الاجتماعيـة والسياسـية والفكريـة والفقهيـة.. ونحوهـا طوّفـوا كثـيرًا في مـدارس الفكـر الغـربي وتأثروا برشاشـها، ثم انتحلـوا كثيرًا من ثقافتهـا، وانطلقوا ينـشرون أطروحاتهـم في فهـم الإسـلام و«عقـدة الغرب» تسـيطر عـلى عقولهـم باسـم التجديـد والإبـداع حينًـا، وباسـم السـماحة والتيسـير أحيانًـا أخـرى[1].

وقد أشار الدكتور محمد محمد حسين إلى هذه الظاهرة قائلًا: «كل الأقطار العربية قد شغل بالبحث والمناقشة حول أمثل الطرق والأساليب للنهوض واستعادة القوة والتخلص من أسباب الضعف وآثاره، ولم يكد الخلاف فيها جيمعًا يخرج عن اتجاهات ثلاثة: اتجاه يدعو إلى العودة لينابيع الإسلام الأولى، واتجاه آخر يدعو لاحتذاء الغرب وتتبع خطاه، واتجاه ثالث يدعو إلى إسلامية متطورة يُفسَّر فيها الإسلام تفسيرًا يطابق الحضارة الغربية، ويبرر أنماطها وتقاليدها»[2].

(١) وصف العلامة محمود محمد شاكر مثل هذه المصطلحات وأمثالها بأنها «ألفاظ لها رنين وفتنة، ولكنها مليئة بكل وهم وإيهام، وزهو فارغ مميت فاتك، توغل بنا في طريق المهالك، وتستنزل العقل حتى يرتطم في ردغة الخبال»؛ رسالة: «في الطريق إلى ثقافتنا»، (ص٨٢).

(٢) د. محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١/ ٦).

إنَّ صراع الهوية[1] هو لبُّ الصراع الذي يضطرب فيه عالمنا الإسلامي، وهو التحدي الكبير الذي يواجه المصلحين، ولا شك أنَّ من مقاصد الإسلام أن تتميز الأمة في شريعتها وشعائرها من بين الأمم، وأمة الإسلام تملك مشروعًا في النهضة مستقلًا، والمسلم لا يكون إمَّعة مهزومًا، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]؛ ولذا تواترت النصوص الشرعية في النهي عن التشبه باليهود والنصارى، حتى قال اليهود: «ما يريد هذا الرجل من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه»[2]. فابتلينا في عصر الهزيمة بأقوام من بني جلدتنا لا يرون من أمر الغرب شيئًا إلا قلدوهم فيه، وتجارت بهم الأهواء في ركابهم!

والمشروع العلماني بمدرستيه الاشتراكية والليبرالية فقد قدرته على الإصلاح في عالمنا الإسلامي بعد تجربة طويلة بائسة، تجاوزت عشرة عقود، أسقطت البلاد في أوحال التخلف والعجز، وتبيَّن للمجتمعات المسلمة إفلاسها في شتى ميادين النهضة والحضارة!

---

(١) أحد أبرز الموضوعات التي ما فتئ الليبراليون يجترونها: نقد ما يسمى بالهوية أو الثوابت أو الخصوصيات الثقافية، وتهوينهم من الغزو الثقافي، انظر مثلًا: علي حرب، «مُلاك الله والأوطان» (ص١١٦، ١٣٥).

(٢) أخرجه: مسلم في كتاب الحيض، رقم (٣٠٢).

وقد اعترف بعض المفكرين العلمانيين بفشل مشروع النهضة العلماني، وبالانحباس والمأزق التاريخي المتفاقم كما عبر عنه الدكتور برهان غليون في كتابه اغتيال العقل[1]، ويعترف أيضًا الدكتور علي حرب بأن: المشاريع خاصة الثورية منها آلت إلى نقيض شعاراتها، وأعطت مردودًا عكسيًا، وقادت إلى أسوأ النتائج[2]، وتحدث في موضع آخر عن فشل ذريع وإحباط مميت لمشروع المثقف الليبرالي، وأنه تحول إلى مجرد بائع للأوهام[3].

كما اعترف بعض المفكرين الغربيين بعجز الليبرالين العرب وضعف مصداقيتهم وقدرتهم على التأثير، ففي مقالة سبقت الإشارة إليها بعنوان «الليبراليون الجدد.. عمالة تحت الطلب» يقول جون بي آلترمان مدير برنامج الشرق الأوسط في معهد الدراسات الدولية والإستراتيجية الأمريكي: «إذا كنا نريد أن نكون صادقين مع أنفسنا، فيجب أن نعترف أن الليبراليين العرب القدامى قد كبر سنهم، وازدادت عزلتهم، وتضاءل عددهم، ولم يعد لهم إلا تأثير محدود في مجتمعاتهم، والقليل من الشرعية، فهم بالنسبة لمواطني بلدانهم وبخاصة الشباب منهم، لا يمثلون أمل المستقبل

(١) برهان غليون، «اغتيال العقل» (ص١٣).
(٢) علي حرب، «الممنوع والممتنع» (ص٢٦٣).
(٣) علي حرب، «أوهام النخبة» (ص٩٧-٩٨).

بل يمثلون الأفكار الغابرة التي لم تنجح في الماضي، ولم يعد لديهم القدرة على استمالة قلوب وعقول أبناء بلدانهم».[1]

إن عجز النخبة الليبرالية عن امتلاك مفاصل النهضة والإصلاح أضحى مسلمة لا تقبل الجدل، فمن ثمارهم نعرفهم، ومع ذلك مازال بعض أدعيائهم يبشر بثقافة الغرب وقيمه، ويتبرأ من هويته ودينه، وصدق المولى جلَّ وعلا: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢]، وحال كثير منهم كحال قوم هود الذين قال الله - عز وجل - فيهم: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]. ولعلَّ المستشرق الفرنسي جاك بيرك أكثر إدراكًا للواقع العربي من أولئك العبيد عندما قال: «راح الغرب يفرض على العالم الإسلامي أنظمة تحت شعار العصرنة والتحديث، لكنها فشلت جميعًا، لا فرق بين يسارية عبد الناصر أو يمينية شاه إيران. أما ما هو قائم في العالم الإسلامي فهو عبارة عن خيبة أمل الجماهير الشعبية في أنظمتها ذات الصبغة اليسارية أو اليمينية أو الليبرالية، لذا عادت الجماهير إلى ما تملكه من نظام أكثر ملاءمة لها، وأكثر تجذرًا في نفوسها، وأعني به

(١) ترجمة إبراهيم عرفة، مجلة البيان، العدد (٢١٩) ذو القعدة ١٤٢٦هـ.

الإسلام، الذي لم يزده توالي الأيام والعصور إلا تألقًا ورسوخًا»[1].

ونحوه قول البروفيسور لويس كنتوري الأستاذ في جامعة جورج تاون: «آن الأوان لإدراك أن خطاب التنوير الغربي، المنطلق من العداء للدين، لا يصلح للعالم الإسلامي والعربي، الذي يمثل فيه الدين قيمة عظمى، تسوده قيم أخرى تعلي من شأن الدولة والجماعة والأسرة...» ثم يرى: «أنه لا العلمانية ولا الليبرالية ولا الماركسية تصلح أساسًا لإنهاض العالم الإسلامي، فكل منها يصطدم أو يتناقض مع تركيبة المجتمع الإسلامي، الذي لا مفر من الاعتراف بأنه يمثل ثقافة مغايرة تمامًا لتلك السائدة في المتجمع الغربي»[2].

وها هو ذا محمد حسين هيكل أحد رموز التغريب يعترف في آخر حياته قائلًا: «ولقد خيّل إلي زمنًا، كما لا يزال يخيل إلى أصحابي، أن نقل حياة الغرب العقلية والروحية سبيلنا إلى النهوض. وما أزال أشارك أصحابي في أنّا ما نزال في حاجة إلى أن ننقل من حياة الغرب كل ما نستطيع نقله، لكني أصبحت أخالفهم في أمر الحياة الروحية، وأرى أنّ ما في الغرب منها غير صالح لأن ننقله». ثم يقول: «وقد حاولت أن أنقل لأبناء لغتي ثقافة الغرب المعنوية وحياته الروحية

(١) نقلًا عن د. نعمان السامرائي، «الحياة تدافع أم صراع» (ص٢٠٠).
(٢) فهمي هويدي، «المفترون» (ص٢٤٨).

لنتخذهما جميعًا هدى ونبراسًا، ولكنني أدركت بعد لأي أنني أضع البذر في غير منبته، فإذا الأرض تهضمه ثم لا تتمخض عنه ولا تبعث الحياة فيه. وانقلبت ألتمس في تاريخنا البعيد في عهد الفراعين موئلًا لوحي هذا العصر ينشئ فيه نشأة جيدة، فإذا الزمن وإذا الركود العقلي قد قطعا ما بيننا وبين ذلك العهد من سبب قد يصلح بذرًا لنهضة جيدة. وروّأت فرأيت أن تاريخنا الإسلامي هو وحده البذر الذي ينبت ويثمر، ففيه حياة تحرك النفوس وتجعلها تهتز وتربو...»[1].

نعم لا بد أن نعترف أن في عالمنا الإسلامي فجوة صناعية وتقنية هائلة، وتخلفًا ذريعًا على شتى المستويات التجريبية والهندسية، ومن واجبنا أن نتصدى لمعالجة هذه الفجوة، ونسعى للخروج من مأزق التخلف، ونستفيد من تجربة الغرب والشرق التقنية والصناعية، وما أجمل ما قاله المفكر الجزائري مالك بن نبي: «لا يجوز لأحد أن يضع الحلول والمناهج، مغفلًا مكان أمته ومركزها، بل يجب عليه أن تنسجم أفكاره وعواطفه وأقواله وخطواته مع ما تقتضيه المرحلة التي فيها أمته. أما أن يستورد حلولًا من الشرق أو الغرب، فإن ذلك تضييعٌ للجهد، ومضاعفة للداء، إذ كل تقليد في هذا الميدان جهل وانتحار»[2].

(١) محمد حسين هيكل، «في منزل الوحي» (ص٢٢-٢٣).
(٢) مالك بن نبي، «شروط النهضة» (ص٤٧-٤٨).

ويقول في موضع آخر: «الفكر السياسي الحديث في العالم الإسلامي هو في ذاته عنصر متنافر، فهو اقتباس لا يتفق وحالة ذلك العالم، والمسلمون في هذا الميدان أو في غيره من الميادين لم ينقبوا عن وسائل لنهضتهم، بل اكتفوا بحاجات قلدوا فيها غيرهم، وأشكال جوفاء إلا من الهواء، بينما ليست حاجتنا أن نجمع العناصر لنكون منها تلفيقًا، وإنما أن نوجد - بواسطة منهج يقوم على التحليل - العناصر الأساسية التي تسهم في خلق تركيب حضاري قائم على الإنسان والتراب والوقت»[1].

وإذا كان المشروع الليبرالي اختزل في نقض المشروع الإسلامي، فينبغي ألَّا يختزل مشروع النهضة الإسلامي في هجاء المشروع الليبرالي فحسب، وإنما يجب أن نعمل بجد في مشروعنا، أداء للأمانة واستنقاذًا للأمة، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] . وهذا ما أرجو أن يتيسر إنجازه في رسالة أخرى بإذن الله.

أسأل الله عز وجل أن يوفق هذه الأمة لرشدها وعزها، ويعيذها من أهواء المنافقين، وانتحال المبطلين، وإفساد المفسدين.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

(١) مالك بن نبي، «وجهة العالم الإسلامي» (ص٩٧).

المراجع والفهـــرس

المراجع

١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بـيروت، الطبعة السابعة ١٤٠٥هـ.

٢) أسئلة الشعر: منير العكش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

٣) الإسلام لعصرنا: أ.د جعفر شيخ إدريس، مركز الدراسات والبحوث في مجلة البيان، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ.

٤) الإسلام والانغلاق اللاهوتي: د. هاشم صالح، رابطة العقلانيين العرب، ودار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١٢م.

٥) الإسلام والعنوسة والتغير الاجتماعي: إيفون حداد وجون اسبوزيتو، ترجمة أمل الشرقي، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

٦) الأعمال الشعرية الكاملة: يوسف الخال، التعاونية اللبنانية للتأليف والنشر، الطبعة الأولى ١٩٧٣م.

٧) اغتيال العقل: د. برهان غليون، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٧م.

٨) أوهام النخبة أو نقد المثقف: علي حرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثالثة ٢٠٠٤م.

٩) تجديد الفكر العربي: د. زكي نجيب محمود، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثامنة ١٤٠٨هـ.

١٠) تغريب العالم: سيرج لاتوش، ترجمة خليل كلفت، مطبعة النجاح، المغرب، الطبعة الثانية ١٩٩٩م.

١١) الحركات الإسلامية في منظور الخطاب العربي المعاصر: تركي علي الربيعو، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

١٢) الحياة تدافع أم صراع؟: أ.د نعمان السامرائي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ.

١٣) جذور أزمة المثقف في الوطن العربي: د. لؤي صافي وأحمد الموصللي، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

١٤) خلفيات الصراع بين الإسلاميين واللائكيين: عبد الله جاب الله، دار المعرفة، الجزائر، ١٩٩٧م.

١٥) ديمقراطية بلا حجاب.. تاريخ داخل التاريخ: مروة صفاء قواقجي، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

١٦) رحلتي الفكرية.. في البذور والجذور والثمر: د. عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الخامسة ٢٠١٣م.

١٧) رهاب المثلية: تحرير عبد الرحمن أياس، ترجمة كمال زين، جمعية حلم، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

١٨) سجون بلا قضبان يحدث في العالم العربي الآن: د. شاكر النابلسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.

١٩) السفور والحجاب: نظيرة زين الدين، مراجعة وتقديم د. بثينة شعبان، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

٢٠) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

٢١) شروط النهضة: مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، الطبعة السادسة ١٤٣٠هـ.

٢٢) علمانيون وخونة: د. محمد مورو، دار الروضة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى.

٢٣) فلسفة النشوء والارتقاء: شلبي شميل، دار مارون عبود، بيورت، ١٩٨٣م.

٢٤) في الطريق إلى ثقافتنا: محمود محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٢٥) في منزل الوحي: محمد حسين هيكل، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثامنة، بدون تاريخ.

٢٦) قضايا اللغة والدين في الأدب الإفريقي: إمباي لو بشير، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

٢٧) الليبراليون الجدد.. جدل فكري: د. شاكر النابلسي، منشورات الجمل، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

٢٨) المثقف العربي بين العصرانية والإسلامية: أ.د عبد الرحمن الزنيدي، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

٢٩) محو العراق.. خطة متكاملة لاقتلاع عراق وزرع آخر: مايكل أوترمان، وريتشارد هيل وبول ويلسون، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بـيروت، الطبعة الأولى ٢٠١١م.

٣٠) مدخل إلى القرآن الكريم: د. محمد عابد الجابري، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

٣١) المريا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك: د. عبد العزيز حمـودة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٣٢) مستقبل الثقافة في مصر: طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣هـ.

٣٣) معذبو الأرض: فرانز فانون، ترجمة د. سامي الدروبي ود. جمال الأتاسي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٦٦م.

٣٤) المفترون.. خطاب التطرف العلماني في الميزان: فهمي هويدي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

٣٥) مُلاك الله والأوطان: علي حرب، الدار العربية للعلوم، الطبعة الثانية، ٢٠١٣م.

٣٦) الممنوع والممتنع نقد الذات المفكرة: علي حرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

٣٧) من آثار مصطفى عبد الـرازق: جمع علي عبد الرازق، وتقديم طه حسين، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٧م.

٣٨) نقد الثوابت.. آراء في العنف والتمييز والمصادرة: د. رجاء بن سلامة، دار الطليعة، ورابطة العقلانيين العرب، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

٣٩) نقد العل الغربي.. الحداثة ما بعد الحداثة: مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

٤٠) نقد الليبرالية: د. الطيب بو عزة، مركز الدراسات والبحوث في مجلة البيان، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

٤١) وجهة العالم الإسلامي: مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثامنة ١٤٣١هـ.

٤٢) اليوتوبيا والجحيم.. قضايا الحداثة والعولمة: نبيل عبد الفتاح ، دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

الفهرس

المقدمة	٥
المدخل	٧
الفصل الأول: منطلقات المشروع الليبرالي العربي:	١٣
المنطلق الأول: الغارة المتشنجة على الدين الإسلامي وأصوله ومصادره والتنكر لتاريخه وحضارته.	١٦
المنطلق الثاني: استنساخ ومحاكاة المشروع الغربي بكل تناقضاته وتقلباته الفكرية، حذو القذة بالقذة.	٢٢
المنطلق الثالث: الانتقائية في استنساخ المشروع الغربي.	٢٦
المنطلق الرابع: التمرد القيمي والأخلاقي.	٣١
المنطلق الخامس: نقض المشروع الإسلامي.	٣٧
الفصل الثاني: صناعة العبيد:	٤٣
العبودية تقود إلى العمالة.	٥٢
الخاتمة	٥٩
المراجع	٧١
الفهرس	٧٧